كلاسيكيات مُبسطة

شيرلوك هولمز

منزل الأشجار النحاسية



السير آرثر كونان دويل

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الغلاف الأمامي


كلاسيكيات مُبسطة
شيرلوك هولمز
منزل الأشجار النحاسية
السير آرثر كونان دويل
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore

حقوق الطبع والنشر

شيرلوك هولمز

كلاسيكيات مبسطة للأطفال

الغموض، والفساد والفوضى



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
...أكثر من مجرد مكتبة

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

الطبعة الأولى 2024

شيرلوك هولمز

منزل الأشجار النحاسية



السير آرثر كونان دويل

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
not just a Bookstore... ليست مجرد مكتبة...

الفصل الأول

يمكنني القول إن شيرلوك هولمز في حالة مزاجية سيئة، فقد كان ضجرًا يقلب بين صفحات الجريدة، وينفث غليونه.

جلسنا على جانبي المدفأة بعد أن انتهينا من تناول وجبة الإفطار. كنت أكتب في دفتري واحدة من قضايا هولمز التي واجهها في الآونة الأخيرة. وبين الحين والآخر كانت تفلت من بين شفتي ضحكة وأنا أتذكر مغامرتنا، ولكنني لاحظت أن ضحكاتي كانت تزعج هولمز أكثر.

كان صباحًا باردًا في أوائل الربيع، ونظرت من النافذة فلمحت الضباب الكثيف يكسو الشارع، حاجبًا عني رؤية المنازل الأخرى.

ظل هولمز صامتًا طوال الصباح، وقد دفن رأسه بين صفحات كومة من الجرائد، ثم فجأة توقف عن البحث، وألقى الجرائد التي كان يقرؤها، وتطلع إليّ قائلًا:

«من دواعــي ســروري أن أراك تكتب عن قضاياي».

ابتســمــتُ: «ومــع ذلــك انتقــدتَ مقالاتي، لقد قلت إنها تنطوي على مبالغة».

أخذ هولمز قطعة فحم متوهجة من المدفأة باستخدام الملقط، ثم دفع بها في غليونه ليشعله، ثم قال: «لقد أضفت بالطبع بعضًا من الإثارة والتشويق في كتابتك رغم عدم وجودها في الحقيقة».



أزعجني غروره، فقلت: «أظن أنني قد أبليت بلاءً حسنًا».

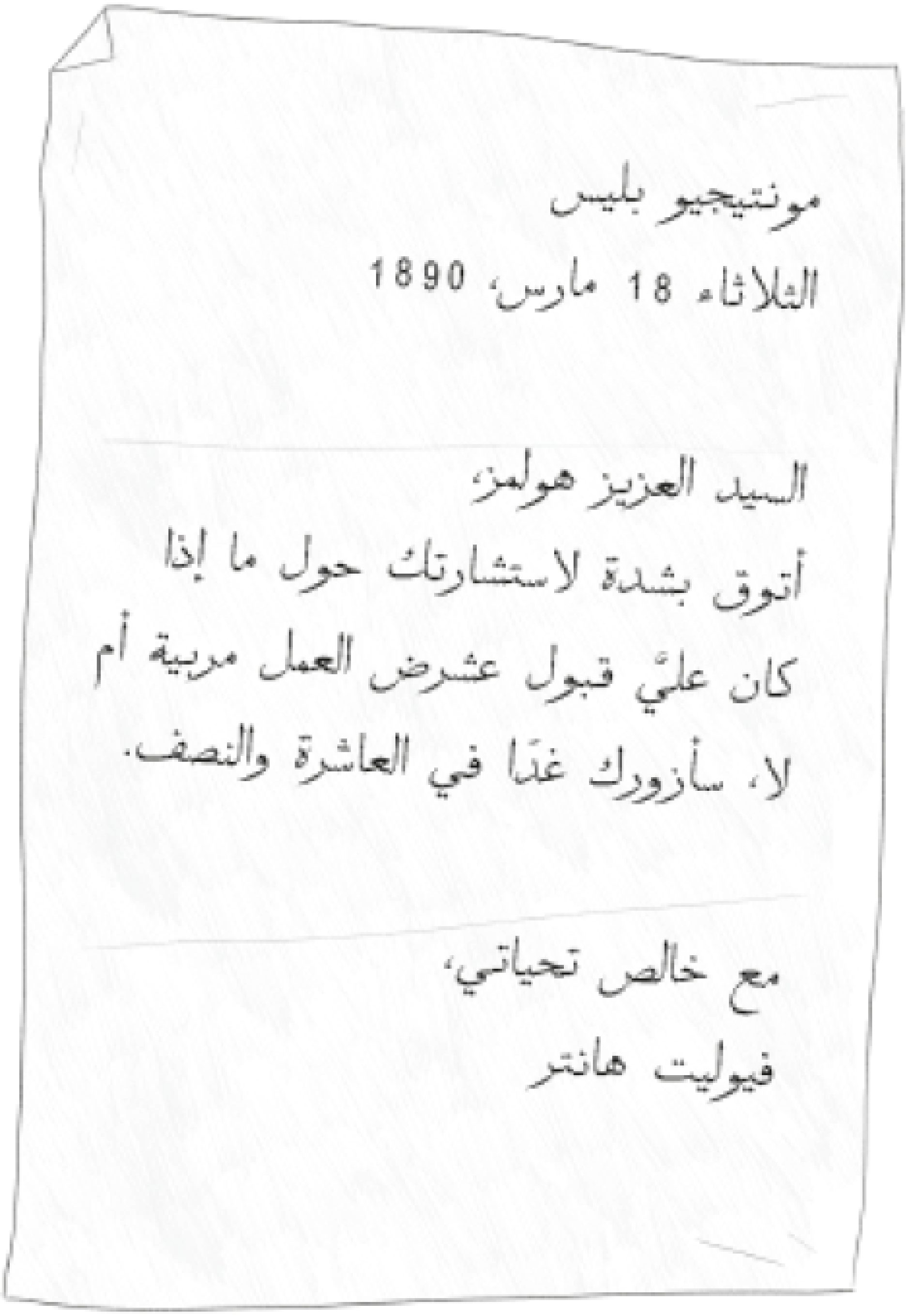
قــال هولمــز وكـــأنه يقــرأ مـا يــدور بذهني: «لا، إنه ليس غرورًا؛ أنا أقول بكل بساطة إن العالم قد يصبح مكانًا أفضل إذا التزم الجميع أكثر بالتفكير المنطقي مثـلي. وأظـن أن مـقـالاتـك ينبغي أن تلهم الناس بهذا، فلقد حولتَ ما كان من المفترض أن يكون مجموعة من التقارير الجادة إلى مجموعة من القصص الخيالية».

لم أعلق على ما قاله، فقد كنت أخشى إذا عبرتُ عن الأفكار التي تدور بذهني - والتي كانت تراودني منذ فترة- أن أضر بصداقتنا.

قــال هولمز: «لكننـــي في النهاية لا يمكنني أن ألومك، فلقد ولـّى عهد القضايا العظيمة، وفقد المجرمون روح الإبداع والابتكار».

ثم التقط رسالة من فوق الطاولة وقال: «لقد صرتُ محققًا يبحث عن الأقلام الرصاص المفقودة، ويقدم النصائح للسيدات اللاتي حطم قلوبهن الحب، ولكنني أعتقد أنني وصلت إلى القاع، فهذه الرسالة وصلتني هذا الصباح؛ اقرأها!».

ألقى هولمز الرسالة المجعدة إليَّ، فمن الواضح أنه كان سيلقي بها في سلة المهملات، لكنه عدل عن الأمر. ربما احتفظ بها ليوضح وجهة نظره هذه فقط.



مونتيجيو بليس

الثلاثاء 18 مارس، 1890

السيد العزيز هولمز،

أتوق بشدة لاستشارتك حول ما إذا كان عليّ قبول عرض العمل مربية أم لا، سأزورك غدًا في العاشرة والنصف.

مع خالص تحياتي،

فيوليت هانتر

سألت هولمز: «يبدو هذا غريبًا! هل تعرف هذه الشابة؟».

- «لا».

التفت للساعة التي تحتل مكانًا فوق المدفأة وقلت: «إنها العاشرة والنصف الآن».

رد هولمز وجرس الباب يدق: «أجل، وليس لديَّ أدنى شك أنها من تدق الجرس الآن».

قلت: «قد تكتشف أن المسألة مثيرة للاهتمام أكثر مما تعتقد، هل تتذكر قضية الجوهرة الزرقاء التي بدت في البداية سخيفة ومملة لكنها تطورت لتحقيق جدي؟ قد يكون الأمر كذلك مع هذه القضية أيضًا».



- «حسنًا، دعنا نأمل هذا. ففي كل الأحوال ستتأكد شكوكنا قريبًا جدًّا، فلقد وصلت صاحبة الشأن إلى هنا».

فتح الباب بينما كان يتحدث، وظهرت على عتبته السيدة هدسون وزائرتنا.

الفصل الثاني

دخلت الغرفةَ امرأةٌ شابة، ترتدي ملابس أنيقة رغم بساطتها، كان وجهها مشرقًا، لكنْ به نمش، وكان أسلوبها الواثق يكشف عن أنها امرأة عازمة على شق طريقها بنفسها في هذا العالم.

قالت المرأة عندما وقف هولمز يحييها: «معذرة على الإزعاج الذي تسببت لك فيه، لكنني مررت بتجربة شديدة الغرابة، وبما أنه ليس لي والدان ولا أقرباء أسألهم النصح، فلقد ظننت أنه بإمكانك مساعدتي».

- «رجاءً تفضلي يا آنسة هانتر، يسرني أن أفعل أي شيء لمساعدتك».

فاجأني حماس هـولـمـز لتقديم المساعدة، لكن أظن أنه انبهر بأسلوب المرأة الحازم، وحديثها المباشر، فلقد كانت من الطراز الذي يروقه. بعد أن تأملها هولمز بفضول، جلس على مقعده، وعقد أطراف أصابعه استعـدادًا لـلاستمـاع إلـى قصتهـا.



جلستُ في مكـان يمكنني مـنه الاستماع إليها وتأملها.

بدأت المرأة حديثها: «أعمل مربية منذ خمس سنوات لدى عائلة الكولونيل سبينس مونرو. ومنـذ شهرين، أُرسل الكولونيـل إلـى هاليفكس فـي نـوفا سكوشا، بكندا، فأخذ معه أبناءه؛ لذا وجدت نفسي عاطلـة عـن العمل، فوضعتُ إعلانًا لطلب وظيفة جديدة، لكن بلا جدوى».

تنهدت المرأة، واستطردت: «في النهاية، بدأ المال الذي كنت أدخره ينفد، ولم أعد أعرف ما الذي يتوجب عليَّ فعله».

أومأ هولمز في إشارة منه إلى أنه ينصت إليها، وليحثها على استئناف حديثها.

استطردت المرأة: «هناك وكالة توظيف مربيات ذائعة الصيت في لندن تدعى ويستوايز؛ اعتدت التواصل مع هذه الوكالة مرة أسبوعيًّا لأرى ما إذا كانت قد توافرت لديها أية وظائف جديدة. تدير هذه الوكالة الآنسة ستوبر، التي تجلس على مكتب صغير، وتجري المقابلات مع السيدات، كل واحدة على حدة، وبعد أن تنتهي من طرح الأسئلة عليهن، كانت تتطلع في دفاترها لترى ما إذا كانت لديها أية وظيفة تناسبهن».

اعتدلت المرأة في جلستها، ثم قالت: «حسنًا، عندما ذهبت إلى الوكالة الأسبوع الماضي، دخلت إلى المكتب الصغير كالمعتاد، لكنني وجدت أن الآنسة ستوبر لم تكن بمفردها، فقد كان زائرها رجلًا بدينًا بشوش الوجه، وله لُغد كبير ثقيل. جلس الرجل بجوار الآنسة ستوبر، وتطلع إليَّ من خلف نظارته، وأنا أدخل الغرفة. كان الرجل يتفحص كل امرأة تدخل الغرفة. كان يبدو على هذا السيد السمين التعبُ، لكن ما إن رآني حتى هب من مقعده، والتفت بسرعة إلى الآنسة ستوبر.



قال الرجل: «هذه هي مَن نبحث عنها، لن أطمع في أكثر من هذا!». بدا شديد الحماس، فلقد فرك يديه معًا، واتسعت ابتسامته. كان النظر إليه يبعث السرور في النفس.

سألني الرجل: «هل تبحثين عن عمل يا آنسة؟».

- «نعم، يا سيدي».

- «مربية؟».

- «نعم، يا سيدي».

- «وما الراتب الذي تطلبينه؟».

- «تقاضيتُ أربعة جنيهات شهريًا في آخر وظيفة عملت بها مع الكولونيل سبينس مونرو».

قال الرجل وهو يلوح بكفيه السمينتين في الهواء: «أوه! لا، لا! كيف يجرؤ أحد على أن يعرض مثل هذا الراتب على سيدة في جمالك ومهاراتك؟!».

قلت له: «مهاراتي يا سيدي قد تكون أقل مما تتخيل، فأنا أجيد القليل من الفرنسية، والألمانية، ومن الرسم والموسيقى...».

صاح الرجل مرة أخرى: «لا، لا! كل هذا لا يعنيني في شيء، فما يهمني هو: هل تتمتعين بسلوك ووقار سيدة من النبلاء أم لا؟ هذا هو مربط الفرس، فإذا لم تكوني كذلك، فلن تصلحي حينئذ لتربية طفل، لا سيما إذا كان لهذا الطفل شأن عظيم في المستقبل. لكن إذا كنت تمتلكين هذه المهارات فكيف يمكن أن يمنحك أحد راتبًا يقل عن ثلاثة أرقام؟ سيبدأ راتبك معي يا سيدتي من مائة جنيه في العام».

في هذه اللحظة، اتسعت عينا هولمز، وجلست أنا على حافة مقعدي. فلقد أصبحت القصة أكثر تشويقًا، لماذا قد يدفع أي شخص مثل هذا الراتب الكبير لوظيفة تبدو في ظاهرها عادية؟!

استطردت المرأة: «يمكنك أن تتخيل يا سيد هولمـز كم كان هذا العرض كالحلم بالنسبة لي! فما لا شك فيه أن ذلك السيد قد رأى نظرة الذهول التي اعتلت وجهي لأنه فتح محفظته وأخرج منها خمسة جنيهات.

ثم قال وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتيه حتى ضاقت عيناه فصارتا مجرد خطين لامعين يتوسطان وجهه: «من عاداتي أيضًا أن أعطي الفتيات اللاتي يعملن معـــي جــزءًا من رواتبهن مقدمًــا. ســــتكفي هـــذه الــجنيهات مصـــــــــروفـات تنقلاتك وملابسك الجديدة».



أظن أنني لم أقابل رجلًا في مثل طيبته ودماثة خلقه مطلقًا، ولأنني كنت مدينة بالفعل، كان المال لي بمثابة منحة إلهية. وعلى الجانب الآخر، كان هناك شيء غير طبيعي حيال الأمر بكامله، تمنيت لو علمت القليل عن الوظيفة قبل أن أقبلها».

رأيت هولمز يومئ برأسه موافقًا على كلامها، وفكرت أنا في مدى حكمة هذه المرأة.

استأنفت المرأة رواية قصتها: «سألته عن المكان الذي يعيش فيه، فأجابني: «في نيوهامبشير، في مكان ريفي ساحر يدعى كوبر بيتشز؛ إنه على بعد ثماني

كيلومترات من وينشيستر؛ إنه أكثر بقعة ريفية ساحرة أيتها الشابة، والمنزل من أجمل المنازل القديمة التي قد ترينها».

سألته: «وما مهامي، يا سيدي؟ أود أن أعرف ما هي».

قال لي: «طفل واحد، طفل مشاغب واحد في السادسة من عمره؛ آهٍ لو رأيته وهو يقتل الصراصير بالخف! طاخ! طاخ! طاخ! يقتل ثلاثة منها قبل أن يطرف لك جفن».

ثم انحنى الرجل في مقعده وضحك وبحرارة.

سألته: «أفهم من هذا أن مهمتي الوحيدة هي أن أعتني بطفل واحد، أليس كذلك؟».

صاح الرجل: «لا، لا، هذه ليست مهمتك الوحيدة أيتها الشابة، فوظيفتك هي أن تطيعي أي أمر صغير تلقيه إليك زوجتي. لن يكون هذا صعبًا، أليس كذلك؟».

- «تسرني المساعدة».

- «رائع، على سبيل المثال، فيما يتعلق بالملابس، نحن أشخاص نبالغ في تجويد أمورنا، لكن نتسم بطيبة القلب. إذا طلبنا منك ارتداء أية ملابس سنعـطيـكِ إيــاهـا فـلـن تـرفـضـي، أليــس كذلك؟».

قلت وقد فاجأتني كلماتــه: «لــن أرفض».

- «وإذا طلبت منك أن تجلسي هنا أو هنــاك، فلـــن يزعجــك هذا، أليس كذلك؟».

- «لا».

- «أو إذا طـــلـــبـــت منك أن تقصري شعـــرك للغايـــــة، هل سترفضين؟».



انحنى هولمز للأمام، وقال وهو يقطب حاجبيه: «تقصرين شعرك؟».

ردت السيدة وهي تنقل نظراتها بيننا: «لم أصدق ما سمعته يا سيد هولمز، فكما ترى، شعري كثيف ولامع ولونه كستنائي، وغالبًا ما يثني الكثيرون على مظهره. لم أظن أنني قد أضطر لقصه دون سبب وجيه، وبالطبع أخبرته أن هذا مستحيل. كان يراقبني بصبر فارغ بعينيه الضيقتين، ولمحتُ مسحة من الحزن ترتسم في عينيه بينما أتحدث.

قال لي: «أخشى أن هذا أمر لا بد منه؛ إنها رغبة زوجتي، وعندما تطرأ أية فكرة على ذهن زوجتي، فلا تتنازل عنها. أأنت واثقة بأنك لن تقصيه؟».

قلت بحزم: «لا يا سيدي، أخشى أنني لن أستطيع».

- «آه، حسنًا، إذن هذا يحسم الأمر. يا للخسارة! ظننت أنك ستكونين مناسبة لهذه الوظيفة، وفي هذه الحالة يا آنسة ستوبر، من الأفضل أن أقابل المزيد من الشابات».

نظرت الآنسة ستوبر إليّ بضيق؛ حيث أعتقد أن رفضي قد أفقدها مبلغًا كبيرًا من المال.

ثم سألتني: «هل ترغبين في أن يظل اسمك في السجلات؟».

- «بالطبع، رجاءً، يا آنسة ستوبر».

قالت بحدة: «حسنًا، هذا حقًّا عديم الجدوى؛ حيث إنك رفضتِ عرض عمل مغريًا الآن، فلا تتوقعي أن تجدي أية وظيفة أخرى بسهولة. طاب يومك يا آنسة هانتر».

دقت الآنسة ستوبر جرسًا على الطاولة، فقادني الساعي إلى خارج المكتب. بعد ذلك عدت إلى المنزل يا سيد هولمز لأجد خزانة مطبخي خاوية، وثلاثة فواتير ترقد على الطاولة. بدأت أفكر في أن رفضي للعرض كان حماقة، فقد يكون لهؤلاء الأشخاص طلبات غريبة، لكن في نهاية المطاف سيدفعون لي راتبًا جيدًا مقابل غرابة أطوارهم هذه. والقليل من المربيات في إنجلترا هن من يتلقين مائة جنيه سنويًا. وبِمَ ينفعني شعري؟ ربما يبدو مظهره جيدًا إذا قصرته. في غضون يومين، بت متأكدة أنني أخطأت برفضي للعرض، فاضطررت أن أتخلى عن كرامتي وأعود إلى الوكالة مرة أخرى. وفي تلك اللحظة تلقيت رسالة من السيد نفسه الذي رأيته في الوكالة، سأقرؤها عليكما».

أخرجت المرأة رسالة من ظرف وفردتها على حجرها.

كوبر بيتشيز،

بالقرب من وينشيستر

بتاريخ ١٨ مارس، ١٨٩٠

عزيزتي الآنسة هانتر،

لقد تفضلت الآنسة سكوبر مشكورة وأعطتني عنوانك، وها أنا أكتب لك هذه الرسالة لأرى ما إذا كنت قد غيّرت رأيك. زوجتي حريصة جدًا على مجيئك؛ إنها

منبهرة من وصفي لك. سنعطيك مائة وعشرين جنيهًا سنويًا، إذا وافقتِ على طلباتنا البسيطة، فهي ليست طلبات صعبة في نهاية الأمر.

زوجتي مغرمة باللون الأزرق البراق على وجه التحديد، وسيسرها أن ترتدي فستانًا بهذا اللون داخل المنزل في الصباح. لن تحتاجي إلى شراء واحد، فلدينا بالفعل فستان بهذا اللون، إنه فستان ابنتنا العزيزة أليس؛ إنها في فيلاديلفيا الآن، لكن أظن أن الفستان سيناسبك تمامًا.

ربما نطلب منك أن تجلسي هنا أو هناك، لا أظن أن هذا قد يشكل عبئًا عليك.

أما بالنسبة لشعرك، فيا للخسارة، لقد لاحظت جماله خلال الحوار القصير الذي دار بيننا، لكنني أخشى أنه لا بد أن تقصريه، وأتمنى أن تعوضك زيادة الراتب عن خسارتك.

أما مهامك فيما يتعلق بالطفل فهي بسيطة للغاية.

حاولي أن تـأتي، وسأقابلك بعربة يجرها حصان في وينشيستر. أخبريني بميعاد قطارك.

مع خالص تحياتي،

جيفرو روكاسل

«هذه هي الرسالة التي تلقيتها للتو يا سيد هولمز، ولقد قررت أن أقبل الوظيفة، وعلى الرغم من ذلك فقد فكرت في أنه ينبغي أن أستشيرك أولًا في هذه المسألة قبل أن أتخذ الخطوة».

قال هولمز مبتسمًا: «حسنًا يا آنسة هانتر، إذا كنت قد قررتِ بالفعل قبول العرض، فالمسألة محسومة».

- «لكن، هل تنصحني بالرفض؟».

- «لا بد أن أعترف لكِ بأنه ليس العمل الذي أحب أن تتقدم شقيقتي إليه».

- «ما معنى هذا يا سيد هولمز؟».

قال هولمز وهو يرمق الشابة بنظرة فاحصة: «ليست لديَّ أية معلومات، ربما تكونين قد كونتِ تصورًا عن الأمر؟».

- «حسنًا، هناك احتمال خطر ببالي. أرى أن السيد روكاسل طيب للغاية وودود، ولعل زوجته تعاني مرضًا عقليًا، وهو يفضل بقاءها في المنزل بدلًا من إيداعها في مصحة عقلية. ربما يساير رغباتها حتى تظل هادئة وسعيدة».

لقد خطر هذا على بالي أيضًا، وبدا أن هولمز يتفق مع هذا الرأي.

قال هولمز: «هذا وارد. في الواقع، إنه التفسير الأكثر ترجيحًا، لكن على أية حال، لا يبدو هذا منزلًا يليق بسيدة شابة».

- «لكن المال يا سيد هولمز، المال!».

- «حسنًا، بالطبع الراتب جيد... بل جيد للغاية، وهذا ما يقلقني. لماذا قد يدفع شخص مائة وعشرين جنيهًا في العام، بينما يمكنه أن يوظف أي مربية أخرى بأربعين جنيهًا فقط؟ لا بد من وجود سبب خفي وراء ذلك».



رغم أن القلق ساورني أيضًا، فلقد تذكرت كيف أن هولمز يشك دومًا في وجود خطر حتى عندما لا يكون هناك أية بوادر له. لقد أخبرتنا الآنسة هانتر أن السيد روكاسل رجل نبيل طيب القلب، وأنا أثق برأيها.

ردت الآنسة هانتر: «لقد أخبرتك بالظروف كلها، ظنًّا مني بأنك ستتفهم سبب طلبي مساعدتك. سأشعر بثقة أكبر بكثير إذا شعرت بأنك ستساندني متى احتجت إليك».

- «أنت حكيمة للغاية، أؤكد لك أن مشكلاتك البسيطة هذه تنذر بأن هذه ستكون أكثر قضية مشوقة واجهتني منذ أشهر، فهناك أمر غريب حيال الأمر. إذا شعرت بأنكِ في خطر...».

قاطعته: «خطر! ما نوع الخطر الذي تتوقع أن أواجهه؟».

هز هولمز رأسه: «إذا عرفنا ما في انتظارنا، فلن يكون هناك خطر على الإطلاق، لكن لا تترددي في أن ترسلي لي برقية في أي وقت من اليوم، ليلًا أو نهارًا، وسأحضر إليك على الفور».

قالت وهي تنهض من مقعدها وبدا أن قلقها كله تبدد: «هذا كافٍ بالنسبة لي. يمكنني الآن أن أنتقل إلى هامبشير دون قلق، وسأكتب للسيد روكاسل على الفور. سأقص شعري الغالي الليلة، وسأنطلق إلى وينشيتر غدًا».

ودعتنا بكلمات تعبر عن امتنانها، وتمنت لنا ليلة سعيدة، ورحلت سريعًا.

وبينما أسمع خطواتها الواثقة السريعة وهي تهبط الدرج، قلت: «على الأقل يبدو أنها قادرة على الاعتناء بنفسها».

قال هولمز بعبوس: «لا بد أن تكون قادرة على هذا، فأنا واثق بأنها سترسل في طلبي قريبًا».

لم يمضِ وقت طويل حتى تحققت نبوءة صديقي.

الفصل الثالث

على مدار الأسابيع القليلة التالية، كانت الآنسة هانتر تخطر على بالي كثيرًا، متسائلًا عــن ماهيــة التجربة الغريبة التي أقحمت فيها هذه الشابة الوحيدة نفسها؛ فالراتب الاستثنائي، والشروط الغريبة، والمهام البسيطة التي لا تتعدى الاعتناء بالصبي، كل هذا أوحى بأن هناك شيئًا غير طبيعي. تُرى ما الذي يخفيه هذا الرجل؟

أما بالنسبة إلــى هولمز، فلاحظت أنه كثيرًا ما كان يجلس لمدة نصف ساعة بين الحين والآخر عابسًا، وكلما ذكرت اسم فيوليت هانتر أمامه، كان يلوح بيديه، مقللًا من شأن الأمر.

كان يقول: «المعلومات! الوقائع! لا يمكنني أن أنسج ثوب الحقيقة دون خيوط!». ولكن مع ذلك كان ينهي كلامه هذا متمتمًا بأنه لم يكن يسمح لشقيقته بالعمل في مكان كهذا.

ذات ليلة، وفي وقت متأخر، وصلت برقية. كنت على وشك أن آوي إلى الفراش، وكان هولمز يعد نفسه لقضاء ليلة كاملة كعادته لإجراء واحدة من تجاربه الكيميائية.

فض هولمز الظرف وألقى نظرة على البرقية، ثم ألقاها لي.

قال هولمز: «رجاءً تحقق من مواعيد القطارات المتجهة في دليل برادشاو»، ثم أدار لي ظهره واستأنف تجاربه الكيميائية.

كانت البرقية قصيرة وعاجلة.



سألني هولمز وهو ينظر إليَّ بطرف عينيه: «هل ستأتي معي؟».

- «سيسرني هذا».

- «تفقد جدول القطارات إذن».

قلت وأنا ألقي نظرة على دليل برادشاو: «هناك قطار سيغادر في التاسعة والنصف، سيصل إلى وينشيستر في الحادية عشرة والنصف».

- «هذا رائع للغاية، لعله من الأفضل أن أترك تجاربي الكيميائية الآن وآوي إلى الفراش، سنحتاج إلى أن نكون في أفضل حالاتنا في الصباح».

برادشاو

دليـل برادشـاو يعـرض مواعيـد مغـادرة ووصـول القطـارات مـن وإلـى كل محطـة، كمـا أنـه يوفـر معلومـات عـن المناطـق المختلفـة. إنـه مفيـد للغايـة لتصبـح علـى درايـة بـكل منطقـة تقصدهـا!

في حوالي الساعة الحادية عشرة من اليوم التالي، كنا في طريقنا إلى وينشيستر. استغرق هولمز في قراءة الصحيفة طوال الطريق، لكن بعد أن تخطينا حدود هامبشير، وضع الصحيفة جانبًا، وتطلع من النافذة مستمتعًا بالمناظر الطبيعية الخلابة. كان يومًا جميلًا من أيام الربيع؛ حيث تناثرت السحب البيضاء الصغيرة في السماء الزرقاء الصافية.



كانت الشمس مشرقة للغاية، ومع ذلك كانت هناك لفحة برد في الهواء، جعلت النشاط يدب في جسدي. وفي جميع أنحاء الريف، برزت المزارع ذات الأسطح الحمراء والرمادية من بين الأشجار.

صحتُ وأنا أفكر في مدى اختلاف هذه المنازل الصغيرة اللطيفة عن جدران منازل شارع بيكر الباردة:» «أليست جميلة؟».

لكن هولمز هزَّ رأسه في عبوس قائلًا: «هل تعلم يا واطســون أن هذه إحدى اللعنات التي يعانيها عقل لا يهدأ مثل عقلي، فأنا أنظر إلى كل شيء بينما عقلي مستغرق في التفكير في القضية التي أنا بصدد التحقيق فيها. ففي حين أنك تتأمل هذه المنازل، وتنبهر بجمالها، أنظر أنا إليها وأفكر في كم هي منعزلة، ومن السهل أن تكون مكانًا مثاليًّا لارتكاب جريمة».

صحت: «يا إلهي! ما الذي ستجده في هذه المنازل الدافئة القديمة يدفعك للتفكير في ارتكاب جريمة بها؟».

سرت في جسد هولمز رعدة خفيفة وهو يقول: «إن هذه المنازل تبعث في نفسي خوفًا مبهمًا. فمن واقع خبرتي يا واطســون، أؤكد لك أن الجرائم التي ترتكب في أكثر أزقة لندن ظلمة وقذارة لا تضاهي بشاعة تلك الجرائم التي ترتكب في الريف الخلاب الهادئ».



- «أنت تثير فزعي!».

- «لكن السبب واضح للغاية، فالعدد الكبير من البشر والشهود المحتملين في المدن الكبيرة يجعلها مكانًا أكثر أمانًا من الريف، فليس هناك طريق في لندن قد يصرخ فيه طفل صغير دون أن يسمعه الجيران وتثير صرخته إزعاجهم. كما أن الشرطة يقظة دائمًا، وبهذا لا يفصل بين المجرم وقفص الاتهام سوى خطوة واحدة، لكن تأمل هذه البيوت المنعزلة، كل منها في حقل منفصل، وتعج بأشخاص لا يفقهون شيئًا عن القانون. تخيَّل كمَّ الأفعال الوحشية، وقدر الشر المستتر الذي قد يستمر عامًا وراء عام في مثل هذه الأماكن دون أن يدري أحد.

إذا كانت المربية ستعيش في وينشيستر لم أكن لأخشى عليها، لكن الثمانية كيلومترات تلك التي تفصلها عن وينشيستر هي ما تشكل مصدرًا للخطر، ومع ذلك، لا أظن أنها مهددة بشكل شخصي».

- «بالضبط، فهي تتمتع بحريتها، ما الأمر إذن؟ هل لديك أي تفسير؟».

- «لقد خطر ببالي سبعة احتمالات مختلفة، كل منها يتوافق مع الوقائع التي نعرفها، لكننا لن نتأكد من صحة أي من النظريات المحتملة إلا عندما نحصل على

معلومات جديدة، والتي بلا شك سنجدها في انتظارنا هناك عندما نصل».

«حسنًا، سنعلم كل شيء قريبًا من الآنسة هانتر».

الفصل الرابع

كان نزل بلاك سوان جميلًا، يقع في الشارع الرئيسي، وقريبًا جدًّا من محطة القطار. هناك وجدنا الفتاة الشابة في انتظارنا، وقد حجزت غرفة صغيرة خاصة من أجل مقابلتنا، كما كان الغداء ينتظرنا على الطاولة.

قالت الشابة: «أنا سعيدة للغاية لأنكما أتيتما، إنه لطف شديد منكما، فأنا لا أعلم ما الذي يجب أن أفعله، أنا في أشد الحاجة إلى مشورتكما».

جلسنا علــى المقاعــد الجلديــة الفاخرة. قال هولمز: «رجاءً، أخبريني بالذي أصابك».

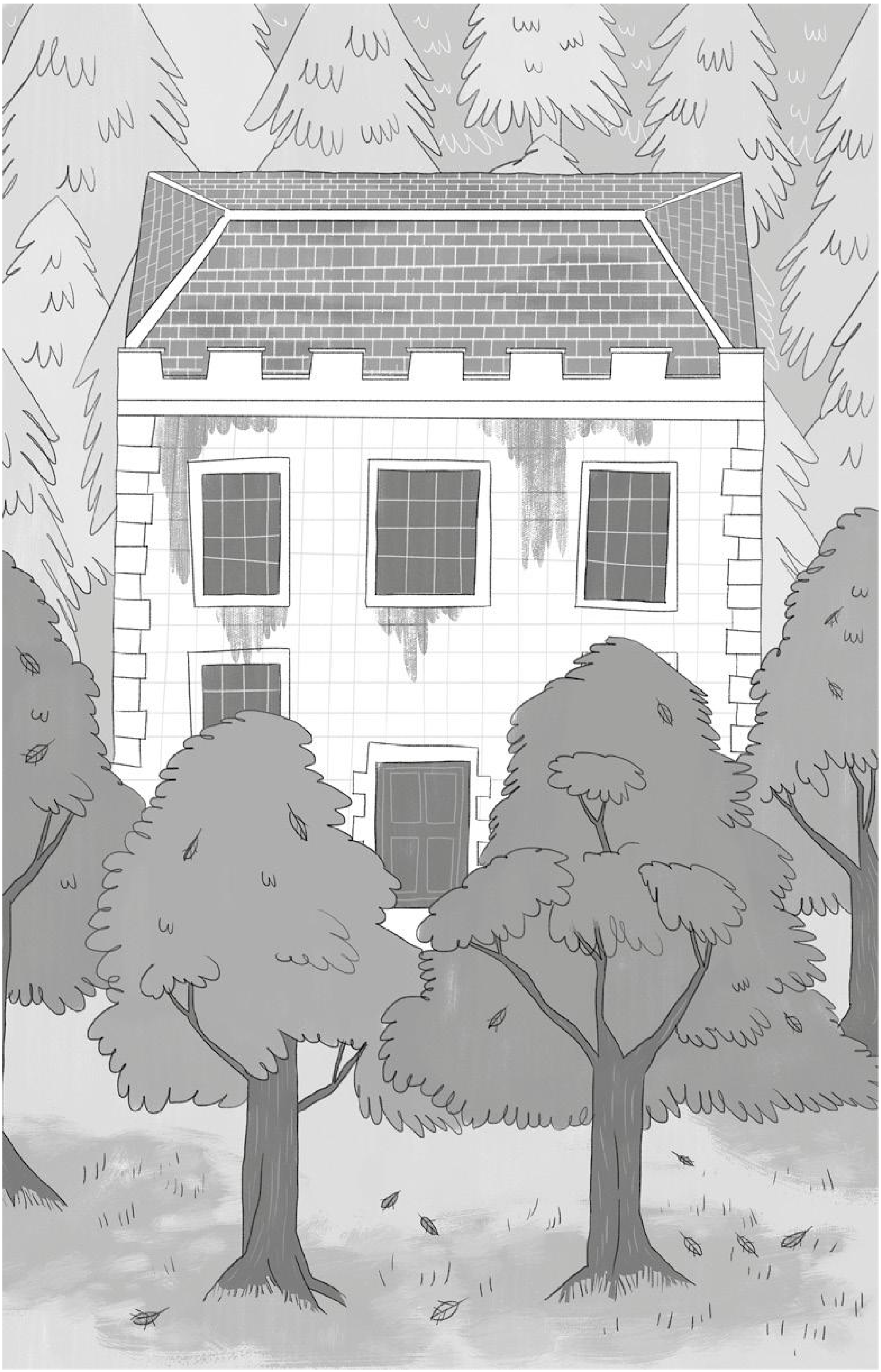
- «سأخبرك، فأنا في عجلة من أمري؛ حيث وعدت السيد روكاسل بأن أعود قبل تمام الساعة الثالثة، وقد حصلت على أذنه للحضور إلى المدينة، لكنه بالطبع لا يعلم سبب قدومي إلى هنا».

مد هولمــز ســاقيه الطــويلتين النحيلتين أمام المدفأة، وهيأ نفسه للإنصات، كما استرخيت أنا أيضًا في مقعدي.

استهلت الشابة حديثها: «أولًا، لا بد أن أذكر أنني لم أتلقَّ أية معاملة سيئة لا من الســيد روكاسل، ولا من زوجته، فمن الإنصاف أن أذكر هذا، لكننــي لا أفهمهمــا، ويثيران قلقي».

- «ما الذي لا تفهمينه؟».

- «سبــب تـصرفاتهما، فعنـدما وصلت، قابلني السيد روكاسل هنــا فــي المحطة، وقادني بعربته الخشبية إلى كوبر بيتشيز. كان المكان، كما قال لي، جميلًا، لكن المنزل نفسه كان قبيحًا. كان عبارة عن كتلة مربعة بيضاء مطلية باللون الأبيض، لكنها ملطخة، وتملؤها البقع بفعل الرطوبة والطقس السيئ. أحاطت الأشجار بالمنزل من ثلاث جهات، أما الجانب الرابع فكان يطل على حقل. كان الفناء الأمامي يتبع المنزل، أما الأشجار فلقد كانت جزءًا من مقاطعة لورد ساذرتون، ولقد سمي هذا المكان تيمنًا بمجموعة من أشجار الزان النحاسي (كوبر بيتشيز) التي نمت أمام الباب مباشرة».



بينما كانت تصف المنزل، تذكرت حديث هولمز في القطار، ومخاوفه من الأماكن الموحشة.

عربة خشبية

عربــة خشــبية بســيطة يجرهــا حصــان واحــد، وغالبًــا مــا تســتخدم للتنقــل بيــن المنــازل الريفيــة. عــادة مــا تلطــخ عجلاتهــا المتهالكــة جانــب العربــة الأيســر بالطيــن؛ لــذا يســهل التعــرف علــى الشــخص الــذي يســافر بهــذه العربــات مــن الطيــن الــذي يلــوث معطفــه أو حــذاءه.

استطردت الشابة: «أقلني السـيد روكاسـل، ببشاشته المعهودة، إلى المنزل. في المساء، عرفني على زوجته وابنه. كانت زوجته صامتة شاحبة الوجه، يبدو أنها أصغر عمرًا من زوجها بكثير. على ما أظن أنه في الخامسة والأربعين من عمره، بينما لا يبدو أنها قد تجاوزت الثلاثين، ولا يبدو عليها أنها مصابة بأي مرض عقلي كما ظننا.

أعتقد أنهما تزوجا منذ سبع سنوات، وكان السيد روكاسل أرمل، وليس لديه من زيجته الأولى سوى ابنته التي رحلت إلى فيلاديلفيا. أخبرني السيد روكاسل سرًّا أنها غادرت المنزل بسبب زوجته الجديدة، وأظن أن تقارب السن بينهما هو السبب.



تبدد قلقي بعض الشيء، فمن الطبيعي ألا تحب الابنة زوجة أبيها الشابة، كما أن السيد والسيدة روكاسل لا يبدو أنهما يشكلان أي خطر كما ظننا، لكن، حتى الآن لم تفسر السيدة روكاسل أمر الطلبات الغريبة بعد».

استأنفت الآنسة هانتر: «لم يكن هناك أي شيء يُميز السيدة روكاسل، ومع ذلك كانت تبدو عليها الطيبة، وكان من السهل ملاحظة مقدار حبها لزوجها وابنهما الصغير. فكانت عيناها الرماديتان الفاتحتان تتنقلان دائمًا بينهما، لتتأكد من أنهما

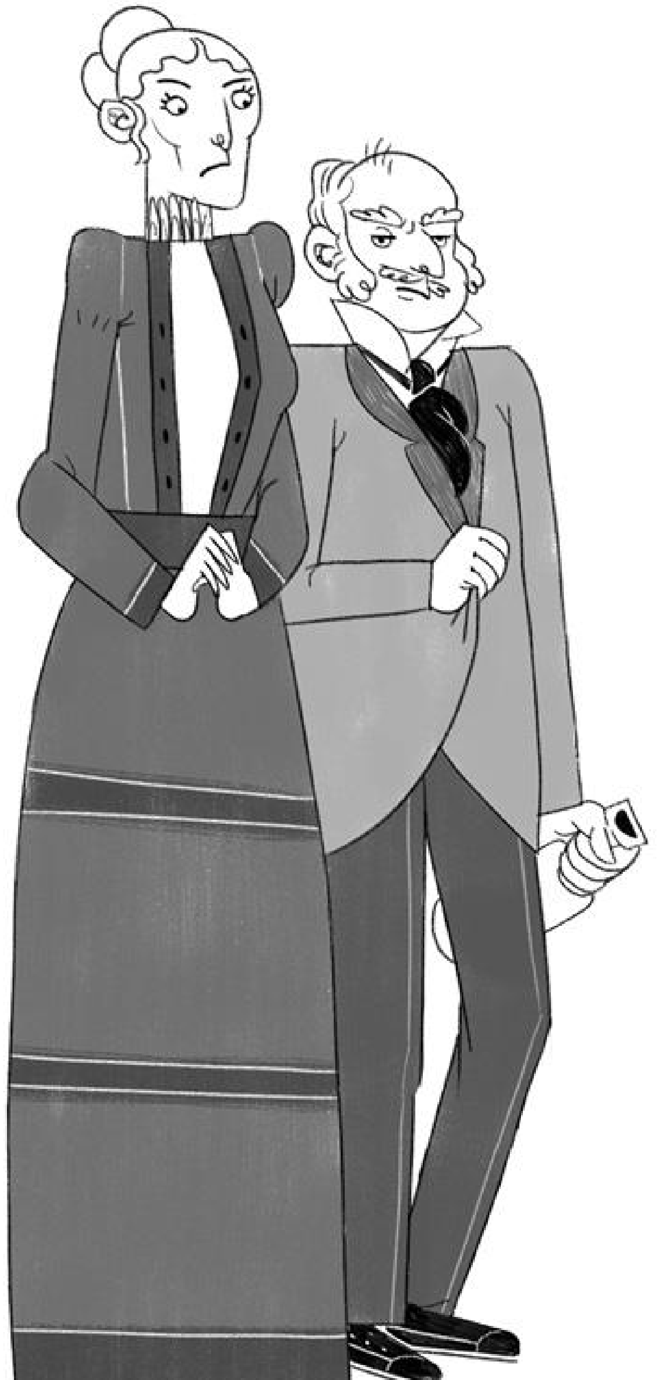
لا ينقصهما شيء. كان السيد روكاسل أيضًا يتعامل معها بلطف، ففي المجمل بدا لي أنهما زوجان سعيدان. لكن ما أجزم به أن هذه السيدة تحمل في قلبها حزنًا دفينًا، فكانت تجلس أغلب الوقت شاردة، يعلو وجهها نظرة حزن. لقد رأيتها أكثر من مرة تبكي دون أن تعرف بوجودي، ولا أظن أن سلوك ابنها الصغير هو ما يزعجها، فلم أرَ من قبل طفلًا مدللًا ومشاغبًا بهذا القدر مطلقًا. كان جسده ضئيلًا بالنسبة لعمره، كما أنه كان دومًا إما يمر بنوبات من الغضب أو كئيبًا عابسًا. بدا أن متعته الوحيدة في الحياة هي أن يتسبب في الألم لأي مخلوق أضعف منه، فلقد كان بارعًا في اصطياد الفئران، والطيور الصغيرة، والحشرات، وتعذيبها، لكنني لا أحبذ الحديث عن هذا الطفل يا سيد هولمز لأنه لا علاقة له بحكايتي».

قال هولمز: «لا، لا، رجاءً أخبريني بكل التفاصيل مهما بدت غير مهمة».

قالت الآنسة هانتر: «حسنًا، بعيدًا عن هذا الولد المشاغب، هناك شيء مزعج واحد بحق يتعلق بالخدم في هذا المنزل. كان هناك خادمان فقط؛ رجل يُدعى تولر وزوجته، كان تولر عنيفًا فظًّا، أشيب الشعر والسالفين، وتفوح منه رائحة الخمر دائمًا. أما زوجته فهي طويلة القامة للغاية، لها وجه عابس، كما أنها مثل السيدة روكاسل لا تتحدث كثيرًا، لكنها أقل لطفًا منها. إنهما زوجان بغيضان، لحسن الحظ أنني أقضي كل وقتي بين غرفة الأطفال وغرفتي؛ لذا لا أضطر لرؤيتهما كثيرًا».

صمتت الآنسة هانتر برهة، فانتهزتُ الفرصة لالتهام شطيرتين من الطعام. كنت جائعًا، فلقد مضى وقت طويل منذ أن تناولت وجبة الإفطار.

رفع هولمز حاجبه ولم ينبس بكلمة، ولم أدر ما الذي يدور بذهنه.



استأنفت الآنسة هانتر حكايتها، وحاولت أنا أن أتناول الطعام بهدوء كيلا أقاطعها.

قالت: «كانت حياتي هادئة جـــدًّا لمدة يومين من وصولي إلى كوبر بيتشيز، وفي اليوم الثالث، نزلت السيدة روكاسل بعد الإفطار وهمست بشيء في أذن زوجها».

فالتفت الســـيد روكاســل نحوي وقال: «أوه، أجل، إننا ممتنان لك للغاية يا آنسة هانتر لأنك قصصتِ شعرك، أود أن أطمئنك أن هذا لم ينقص مـــن جمالك ذرة».

نظرت الآنسة هانتر إلى هولمز. ومن التعبير الذي رأيته مرتسمًا على وجهها يمكنني القول إن عبارات الغزل هذه كانت تزعجها.

استطردت: «بعد ذلك قال لي السيد روكاسل: «والآن سنرى إذا ما كان الفستان الأزرق البراق يناسبك أم لا. ستجدينه على السرير في غرفتك، وإذا تكرمتِ وارتديته سنكون ممتنين لكِ كثيرًا».

كان لون الفستان مبهجًا، كما كانت خامته ممتازة، ومناسبًا تمامًا لقياسي، لكن من الواضح أن هناك من ارتداه من قبل. أبدى السيد والسيدة روكاسل إعجابهما الشديد بمظهري وأنا أرتديه. كانا ينتظران في غرفة الجلوس، وهي غرفة فسيحة تمتد بطول واجهة المنزل. كان للغرفة ثلاث نوافذ تمتد من السقف حتى الأرض.

بعد ذلك طلبا مني أن أجلس على مقعد بالقرب من النافذة الوسطى، وظل السيد روكاسل يذرع الطرف المقابل من الغرفة جيئة وذهابًا، ثم بدأ يقص على مسامعي حكايات طريفة لم أسمع بها من قبل. كان مرحًا بشكل غير معقول، انفجــرتُ ضاحـــكة حتى شعرت بألم في ضلوعي. لكن السيدة روكاسل لم يفتــر ثغرهـــا حتى عن ابتسامة، فكما قلت من قبل كانت باهتة، لم تفعل شيئًا سوى أنها جلست وهي تضع يديها على ركبتيها، وقد أطلت من عينيها نظرة حزن.



بعد مرور ساعة أو ما يقرب من ذلك، توقفت حكايات السيد روكاسل الطريفة فجأة، ثم طلب مني أن أبدل ملابسي، وأعود إلى غرفة الأطفال.

بعد مضي يومين، فعلنا الشيء ذاته بحذافيره: بدلت ملابسي، وجلست بجوار النافذة، وانفجرت ضحكًا على القصص الطريفة التي يرويها السيد روكاسل. كانت حكايته لا تنضب، وكان يقصها بطريقة ممتعة. بعد ذلك ناولني كتابًا أصفر اللون، وطلب مني أن أقرأ منه بصوت مرتفع. قرأت لمدة عشر دقائق تقريبًا، ثم فجأة، بينما كنت في منتصف إحدى الجمل، طلب مني أن أتوقف، وأذهب لتبديل ملابسي».

نظرت الآنسة هانتر إلى هولمز، واستطردت: «يمكنك أن تتخيل يا سيد هولمز كم شعرت بالفضول، وتساءلت ما معنى كل هذا؟ لقد لاحظت أنهما يحرصان دومًا على أن أدير وجهي بعيدًا عن النافذة. ولقد راودتني رغبة ملحة لأرى ما الذي يدور وراء ظهري. ففي البداية، بدا الأمر مستحيلًا، لكن ذهني تفتق عن خطة، فكل ما فعلته هو أن شطرت مرآة يد صغيرة إلى نصفين، وأخفيت نصفًا من بينهما في مَحْرَمتي، ثم في المرة التالية التي تكرر فيها الأمر، تظاهرت أنني أجفف عيني بالمَحْرَمة، وبهذه الطريقة تمكنت من اختلاس النظر إلى ما يدور خلف ظهري. حسنًا، في البداية كان الأمر محبطًا، فلم يكن هناك أي شيء، لكن عندما اختلست النظر مرة أخرى، رأيت رجلًا يقف على الطريق؛ كان رجلًا ضئيل الجسد، ملتحيًا، يرتدي حلة رمادية. أظن أنه كان ينظر باتجاهي.

خفضت مَحْرَمَتي، وتطلعت إلى السيدة روكاسل، فوجدتها تحدق في وجهي! لم تقل شيئًا، لكنني واثقة بأنها لاحظت ما أفعله، وفجأة نهضت من مقعدها وقالت: «جيفرو، هناك رجل غريب في الطريق يحدق في الآنسة هانتر».



سألني: «أهذا صديق لك يا آنسة هانتر؟».

فأجبته: «لا، لا أعــرف أي شخص في هذه المنطقة».

قال السيد روكاسل: «يا لها من وقاحة! رجاءً استديري ولوحي له لكي يذهب بعيدًا».

قلت: «مــن الأفضــل ألا نعــيــره انتباهنا».

- «لا، لا. لا نريده أن يظل يحوم حول منزلنا، رجاءً التفتي، ولوحي له كي يرحل».

اعتدلت الآنسة هانتر في جلستها وقالت: «فعلت كما أمــرني، ثــم أسدلت السيدة روكاســل الســتارة. حدث هذا منذ أسبوع مضى، ومنذ ذلك الحين لم يطلب مني أن أجلس بجوار النافذة، ولا أن أرتدي الفستان الأزرق، ولــم أر حتــى هــذا الرجل مجددًا».

قال هولمز وهو ينحني إلى الأمام ليلتقط شطيرة: «رجاءً أكملي، فمن الواضح أن قصتك مثيرة للغاية».

الفصل الخامس

قالت الآنسة هانتر: «حسنًا، لست متأكدة من أن الجزء التالي له علاقة بما قصصته عليكما، لكن على أية حال سأقصه عليكما. في اليوم الأول الذي وصلت فيه إلى كوبر بيتشيز، قادني السيد روكاسل إلى مبنى صغير، بالقرب من باب المطبخ، وبينما كنا نمر بجواره سمعت صليل سلسلة، وصوتًا آخر، وكأنه صوت حيوان كبير يتحرك.

قال السيد روكاسل: «انظري من هنا!»، مشيرًا إلى الفتحات بين ألواح الباب الخشبي، ثم أردف: «أليس رائعًا؟».

نظرت بين فتحات الخشب فرأيت كلبًا ضخمًا، متكومًا في الظلام. كانت له عينان متوهجتان تتوسطان وجهًا ضخمًا. فجأة، نبح الكلب، فارتددت إلى الخلف في ذعر.

كلاب الدرواس

تتسم هذه السلالة من الكلاب بالقوة الهائلة، وعادة ما تمتلك هذه السلالة أسنانًا حادة، وبنية ضخمة قوية جدًّا. تحتاج كلاب الدرواس إلى التدريب بحذر والاعتناء بها، وإلا قد يصبح امتلاكها خطرًا. أهم شيء أن تتأكد من أن كلب الدرواس قد نال ما يكفيه من الطعام، فالجوع يحوله إلى مخلوق شرس يصعب التغلب عليه!

قال السيد روكاسل وهو يضحك: «لا تخافي، إنه كارلو، كلبي، من فصيلة كلاب الدرواس. أنا أقول إنه كلبي، لكن ليس هناك مَن يستطيع الاقتراب منه سوى تولر. نقدم له الطعام مرة واحدة في اليوم، ولا نعطيه قدرًا كبيرًا منه، لذا قد يكون

جائعًا بعض الشيء الآن. يطلق تولر الكلب كل ليلة، وليحفظ الله من يأتي به حظه التعس في طريقه. رجاءً لا تخرجي من المنزل ليلًا لأي سبب كان، فقد يكلفك هذا حياتك».



فاجأني أن يكون رجل مثل تولر العجوز قادرًا على السيطرة على كلب ضخم مثل هذا، فكما أخبرتكما من قبل أنه كان سكيرًا، كما أنه لا يبدي أية بوادر عطف تجاه الإنسان، ناهيك عن الحيوانات.

لكن السيد روكاسل لم يكن يكذب، فبعد مضي ليلتين كنت أتطلع من نافذتي في حوالي الساعة الثانية صباحًا، وحينها كان ضوء القمر ساحرًا متوهجًا بشدة كما لو كنا في وضح النهار. سحرني هذا المنظر الخلاب، وفجأة لاحظت شيئًا يتحرك تحت ظلال شجر الزان، وعندما ظهر في ضوء القمر عرفت ماهيته.

كان كلبًا ضخمًا في حجم العجل! له فرو بني فاتح، وصدغان متدليان، وأنف أسود وعضلات هائلة بارزة تهتز وهو يسير. تحرك الكلب ببطء على العشب، ثم اختفى وسط الظلال. بث منظره الرعب في نفسي».

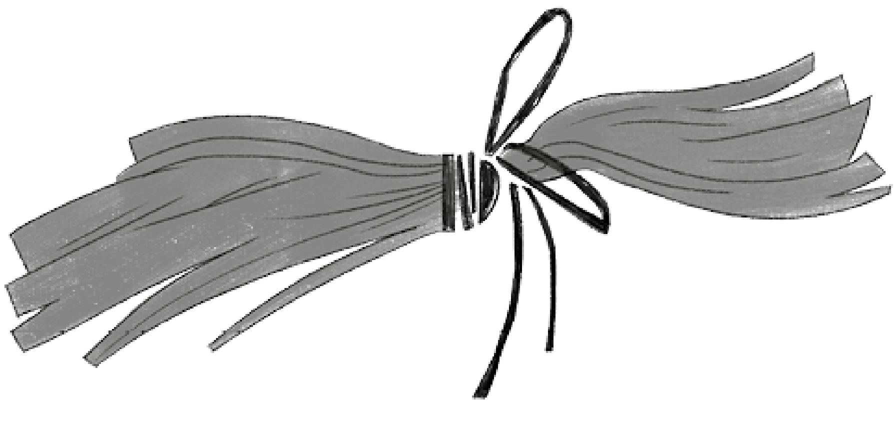
خيَّم الصمت على الغرفة، وظللنا أنا وهولمز نقلب المعلومات في رأسينا، ومن خارج غرفتنا، في بهو النزل، سمعت أصواتًا تثرثر، وصوت بائع جائل جهوريًا يخترق النافذة.

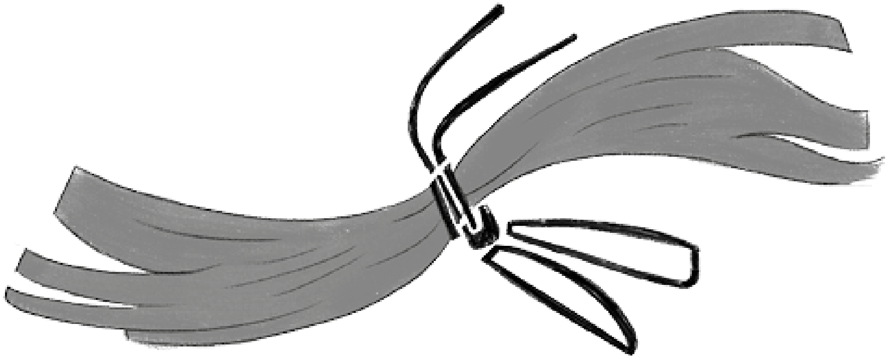
قال هولمز وهو يشير إلى طاولة الطعام: «رجاءً، تناولي بعضًا من هذه الشطائر الشهية يا آنسة هانتر، فأنتِ لم تتناولي أي شيء».

أومأت الآنسة هانتر، وأخذت شطيرة. ظلت تحدق في الشطيرة وقد بدا عليها البؤس، لا بد أن عقلها كان منشغلًا بالقصة.

ثم استأنفت الآنسة هانتر وهي تضع شطيرتها على الطاولة: «كما تعلمان أنني قصصت شعري في لندن، فلقد ربطتُ هذا الشعر المقصوص بشريطة ووضعته في قاع حقيبتي. ذات مساء، بينما كنت أرتب بعض ملابسي في غرفتي، عثرت على درج مغلق، فأخرجت سلسلة المفاتيح التي كانت بحوزتي وحاولت فتحه، ولقد نجحت من أول محاولة. فتحت الدرج، ووجدت به شيئًا واحدًا فقط، آخر شيء قد يخطر على بالكما؛ لقد وجدت شعري!

صعقت من المفاجأة، كان هذا شيئًا يصعب عليَّ استيعابه. فتحتُ حقيبتي لأجد شعري مكانه كما هو، فوضعت خصلات الشعر التي وجدتها في الدرج وتلك التي أحملها في حقيبتي جنبًا إلى جنب. كانت الخصلات متطابقة في اللون والكثافة. أليس هذا أمرًا عجيبًا؟! وضعت الشعر مرة أخرى في الدرج، ولم أذكر شيئًا عن اكتشافي هذا للسيد أو السيدة روكاسل. راودني شعور بالذنب لأنني فتحت درجًا مغلقًا دون إذنهما».





أعلم أن هولمز أضاف هذه المعلومة الأخيرة إلى قائمة الوقائع السابقة، وكنت واثقًا بأنه يسمع وفي الوقت ذاته يربط عقله القرائن ببعضها، كمن يضع قطع الأحجيات معًا.

استطردت الآنسة: «لم يكن الدرج المغلق هو اللغز الوحيد يا سيد هولمز، فقد كان هناك جناح كامل في المنزل لا يتردد عليه أحد نهائيًّا، فحتى الباب الذي يقود إليه، كان مغلقًا. لم يثر هذا الأمر استغرابي في البداية. لكن، ذات يوم، بينما كنت أصعد الدرج، قابلت السيد روكاسل يخرج عبر هذا الباب، وكانت تعلو وجهه نظرة مخيفة؛ حيث احمرت وجنتاه، وانعقد حاجباه غضبًا حتى برزت عروق جبينه. أغلق السيد روكاسل الباب ومر بجواري دون أن ينبس ببنت شفة.

تملك الفضول مني، وفي عصر هذا اليوم خرجتُ للتنزه مع إدوارد الصغير، وتسللت لألقي نظرة على هذا الجناح المهجور من المنزل. كانت هناك أربع نوافذ متتالية، ثلاث منها كانت متسخة للغاية، أما الرابعة فلقد أغلقت بمصاريع سميكة، وبينما كنت أختلس النظر، ظهر السيد روكاسل بمرحه المعهود.

قال السيد روكاسل: «آه! أعتذر عن فظاظتي هذا الصباح، فقد كان عقلي مشغولًا بأمور تخص العمل».

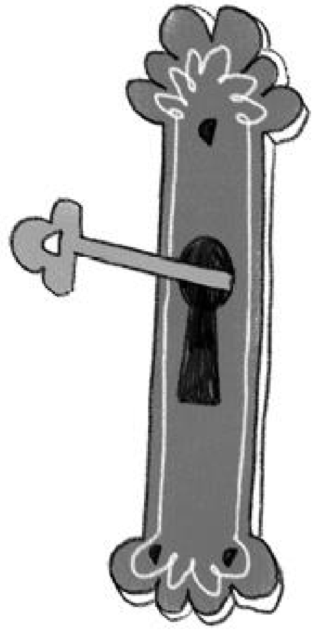
رددت بابتسامة: «لا بأس بهذا»، ثم أردفت: «بالمناسبة، يبدو أنك تمتلك غرفًا كثيرة هنا مهجورة، حتى إن إحداها قد أغلقت مصاريعها».

بدا الرجل متفاجئًا، ثم قال: «التصوير الفوتوغرافي واحد من هواياتي؛ لذا حرصت على وجود غرفة تحميض الصور هنا. يا لكِ من شابة قوية الملاحظة». حاول أن يبدو كمن يمزح، لكن عينيه أظهرتا عكس هذا».

غرفة التحميض

تســتخدم غرفــة التحميــض لإخــراج الصــور الفوتوغرافيــة. عــادة مــا تغلــق هــذه الغرفــة بمصاريــع أو ســتائر ســميكة، حتــى لا يتســلل الضــوء إليهــا. تضــم هــذه الغرفــة أباريــق كبيــرة تحتــوي علــى مــواد كيميائيــة، لغمــس الصــور بهــا. تعــد غــرف التحميــض مــن الأماكــن التــي تتمتــع بخصوصيــة شــديدة، فــلا يحــب المصــورون أن يدخلهــا أي أحــد، حيــث إن النــور لــو تســرب إلــى الغرفــة أثنــاء دخولهــم، ســتتلف الصــور.

استطردت الآنسة هانتر: «منذ هذه اللحظة يا سيد هولمز عرفتُ أن هناك سرًّا خلف هذه الغرف. شعرت برغبة ملحة في معرفة ما تخفيه هذه الغرف، فلم يكن هذا مجرد فضول، لكن دفعني إلى هذا إحساس بالواجب. أنبأني حدسي أنني سأحسن صنعًا إذا كشفت ما يحدث خلف هذا الباب المحرم، ولم تتسن لي الفرصة لهذا إلا بالأمس، فقد رأيت كلًّا من تولر وزوجته يدخلان ويخرجان إلى هذه الغرف السرية، وفي إحدى المرات كانا يحملان حقيبة سوداء قماشية كبيرة، لكن السيد تولر كان ثملًا كعادته لدرجة أنه نسي المفتاح في الباب. كان الجميع في الطابق السفلي، السيد والسيدة روكاسل وإدوارد؛ لذا علمت أن الفرصة مواتية لأنفذ ما عزمت على فعله. أدرت المفتاح في الباب بخفة، فانفتح وانسللت داخل الغرفة».



الفصل السادس

مدت الآنســة هانتر يدها إلى كأس المياه.

انتظرت وأنا أحبس أنفاسي من فرط الحماس لسماع بقية الحكاية، أما هولمز فقد جلس على طرف مقعده.

وضعت الآنسة هانتر كأس الماء واستطردت: «كان هنــاك ممــر قصير أمامي، ينحرف ناحية اليمين عند نهايته، وفي هذا الركن تراصت ثلاثة أبواب متتالية. كان البابان الأول والثالث مفتوحين، وكانا يقودان إلى غرف فارغة، وقد غطى التراب الكثيف النوافذ فلم ينفذ من خلالها إلا قبس ضعيف من ضوء القمر.

أما الباب الأوسط فكان موصدًا بقضيب حديدي ثقيل، فأدركت حينها أن هذه الغرفة ذات النافــذة المغلقة بمصاريع. أثار دهشتي بصيص الضوء الذي رأيته يتسرب من أسفل الباب، فتوقعتُ أن هناك كوة في سقف هذه الغرفة. وقفت أحدق فــي البــاب، وتساءلت ما السر الذي يخفيه، وفجأة سمعت صوت خطوات تأتي من داخل الغرفة».

ازدردت الآنســة هانتــر لعابها، ثم قالت: «شعرت برعب شديد يا سيد هولمز. خذلتني أعصابي فاستدرت وركضت بكل ما أوتيت من قوة، واندفعت عبر الممر، ووجدت نفسي مباشرة بين ذراعي السيد روكاسل.

ابتسم السيد روكاسل وقال: «أنت هنا إذن، لقد توقعت هذا حين رأيت الباب مفتوحًا».

صحتُ: «يا إلهي، أنا خائفة للغاية!».

- «ما الذي أثار خوفك يا عزيزتي؟».

حاول السيد روكاسل أن يهدئ من روعي، كان صوته ناعمًا للغاية، لكنه أتى متصنعًا كما لو كان يحاول أن يداري أمرًا ما.

أجبته: «لقد ارتكبتُ حماقة شديدة بدخولي إلى الجناح المنعزل هذا، لكنه موحش ومخيف في هذا الضوء الخافت؛ لذا شعرت بالخوف الشديد فركضت خارج

الغرفة، يا له من مكان مخيف!».

نظر إليَّ متفحصًا، وقال: «أهذا كل ما حدث؟».

سألته: «لماذا تسأل، ما الذي ظننته؟».

رد: «لماذا تظنين أنني أغلقت هذا الباب؟».

- «لا أعلم».

قال وهو ما زال يبتسم هذه الابتسامة المصطنعة: «حتى لا يدخل إلى الغرفة من ليس لدخوله إليها داعٍ، أتفهمين ذلك؟».

- «فهمت، لو كنتُ أعلم...».

- «حسنًا، الآن صرتِ تعرفين، إذا خطوتِ داخل هذا الممر مرة أخرى...»، ثم قال وقد تحولت ابتسامته إلى نظرة غضب: «سألقي بك إلى كلبي الدرواس».

شعرت بالرعب حينها؛ لذا لا أتذكر ما فعلته، لا بد أنني تجاوزته مندفعة إلى غرفتي، ودون أن أدري وجدت نفسي أرقد في الفراش وجسدي كله يرتجف».

نظرت الآنسة هانتر إلينا، فلمحت في عينيها رعبًا أثارته في نفسها الذكرى.

«ثم فكرت فيك يا سيد هولمز، فلن يمكنني العيش هناك أكثر من هذا دون نصيحتك. كان بمقدوري أن أفر من هناك، لكن فضولي أقوى من خوفي؛ لذا قررت أن أرسل لك برقية، فارتديت عباءتي وقبعتي، وذهبت إلى مكتب التلغراف، وعندما عدت كنت في حالة أفضل، حتى إنني ظللت مستيقظة حتى منتصف الليل، متلهفة لرؤيتك».

لوى هولمز شفتيه تأثرًا بكلماتها.



استطردت الآنسة هانتر: «لم أواجه أية مشكلة في طلب إذن للقدوم إلى وينشيستر اليوم، لكن لا بد أن أعود قبل تمام الساعة الثالثة. سيذهب السيد والسيدة روكاسل في زيارة، وسيتغيبان طيلة المساء، لذلك لا بد أن أعتني بإدوارد. والآن بعدما أخبرتكما بمغامرتي كلها يا سيد هولمز، ويا دكتور واطســـون، هل يمكنكما أن تفسرا لي الأمر؟ ما الذي ينبغي عليَّ فعله؟».

استمعنا أنا وهولمز إلى قصتها المثيرة مندهشين، فنهض هولمز من مقعده، وظل يذرع الغرفة جيئة وذهابًا، ويداه في جيبيه، وعلت وجهه نظرة شديدة الجدية.

ثم سأل هولمز: «هل تولر ما زال ثملًا؟».

- «نعم، لقد سمعتُ زوجته تخبر السيدة روكاسل بأنها لم تتمكن من إفاقته».

- «جيد، والسيد والسيدة روكاسل لن يكونا في المنزل الليلة؟».

- «أجل».

- «هل هناك قبو عليه قفل محكم؟».

- «نعم».

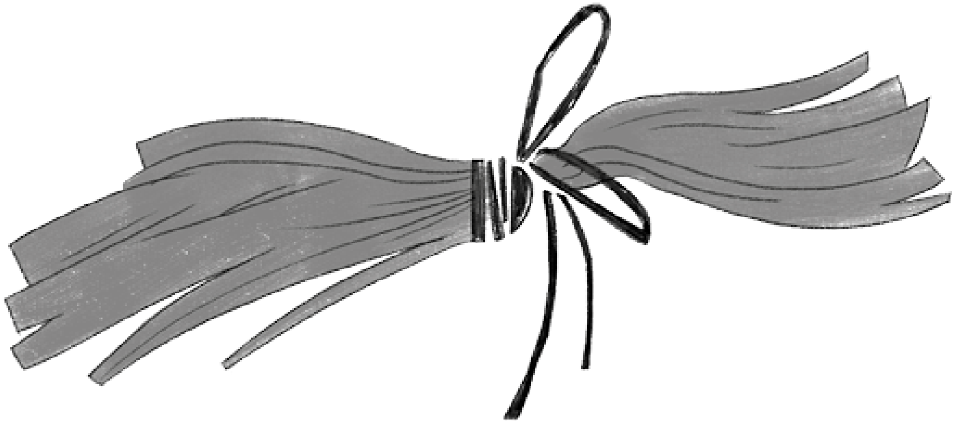
- «لقد تصرفتِ بشجاعة وحكمة شديدتين يا آنسة هانتر، لكن هل في مقدورك أن تؤدي مهمة أخرى؟ لم أكن لأطلب هذا منكِ إذا كنت أظن أنك لن تستطيعي هذا».

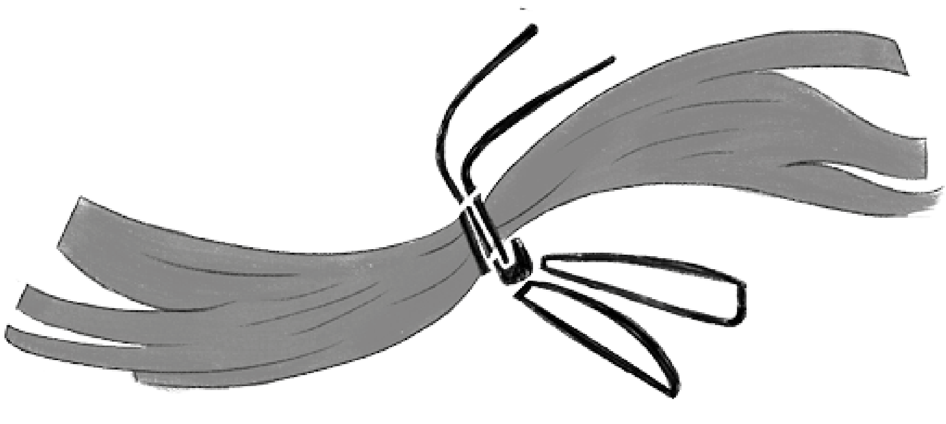
- «سأحاول، ما هذه المهمة؟».

- «سنصل إلى كوبر بيتشيز في السابعة مساءً، وسيكون السيد والسيدة روكاسل قد رحلا، أما السيد تولر فنأمل أن يظل مخمورًا. لن يتبقى أمامنا سوى السيدة تولر، هل يمكنك أن ترسليها إلى القبو في مهمة ما، ثم توصدي الباب بالقفل خلفها؟».

- «حسنًا، سأفعل».

- «ممتاز! ستقدمين بهذا لنا مساعدة كبيرة، وبالطبع، هناك تفسير واحد لكل ما يحدث، لقد أتيتِ إلى هنا لتجسيد شخصية شخص ما، وهذا الشخص الحقيقي مسجون في تلك الغرفة، وهذا أمر لا شك فيه. أما بالنسبة لشخصية السجين، فأنا واثق بأنها ابنة السيد روكاسل، الآنسة أليس روكاسل. أتذكر أنك قلت إنها رحلت إلى أمريكا، فلا بد أن اختيار السيد روكاسل قد وقع عليكِ لأنك تشبهينها في الطول والهيئة ولون الشعر. وبما أن شعرها قد قص، ربما بسبب مرض ما، فلقد طلب السيد روكاسل منك أن تقصي شعرك، وبالمصادفة البحتة وجدتِ أنت شعرها في الدرج.





أما ذلك الرجل الذي رأيته يقف على الطريق فلعله كان صديقًا لها، أو ربما خطيبها. عندما ارتديتِ فستانها، وصففتِ شعرك مثلها، جعله هذا يظن أنكِ الآنسة روكاسل، ثم عندما رآك تضحكين وتلوحين له لكي يرحل، جعله هذا يظن أن الآنسة روكاسل لم تعد تكترث لأمره، فلا بد أن الكلب كان يطلق سراحه في المساء ليمنعه من التواصل معها».

صاحت الآنسة هانتر: «يا إلهي، ينبغي أن نساعد هذه الفتاة المسكينة! وألا نضيع أي وقت».

رد هولمز: «لا بد أن نتوخى الحذر، فنحن نتعامل مع رجل غاية في الدهاء. ليس بوسعنا فعل أي شيء قبل السابعة، فعند هذا الوقت سنكون معك، ولن يطول بنا الوقت حتى نتوصل إلى حل اللغز».

الفصل السابع

تمامًا كما وعدناها، وصلنا في تمام الساعة السابعة إلى كوبر بيتشيز. كانت مجموعة أشجار الزان خير دليل لتثبت أننا قد وصلنا إلى المنزل المنشود، ومع ذلك كانت الآنسة هانتر تقف عند عتبة الباب في انتظارنا.

سألها هولمز ونحن ندخل المنزل: «هل فعلتِ ما اتفقنا عليه؟».

في هذه اللحظة، تناهى إلى مسامعنا صوت طرقات مكتومة تصدر من مكان ما أسفل الدرج.

قالت الآنسة هانتر: «نعم السيدة تولر في القبو، وزوجها يغط في نوم عميق على سجادة المطبخ، وإدوارد نائم في فراشه، ها هي المفاتيح».

صاح هولمز: «أحسنتِ صنعًا! الآن تقدمينا، وسرعان ما سنضع حدًّا لهذا الأمر البشع برمته».

صعدنا الدرج، وفتحنا الباب، وسرنا في الممر حتى وصلنا إلى الباب الموصد. أزاح هولمز القضيب المعدني الثقيل، وجرَّب المفاتيح ليرى أيهما يناسب القفل، لكن دون جدوى. لم يصدر أي صوت من الغرفة، وبدا هولمز قلقًا.



قال هولمز: «أتمنى ألا نكون قد تأخرنا، أظن أنه ينبغي ألا نرحل دونك يا آنسة هانتر. الآن يا واطســـون ادفع الباب بكتفك لنكسره ونقتحم الغرفة».

كان الباب قديمًا ومتهالكًا؛ لذا انهار بسرعة. اندفعنا داخل الغرفة، فوجدناها خالية. لم تكن تضم أي أثاث، باستثناء سرير خفيف الوزن وطاولة صغيرة وسلة من الملابس النظيفة. كانت الكوة الموجودة في السقف مفتوحة، ولم يكن هناك أثر للسجينة.

قال هولمز: «ما لا شك فيه أن السيد روكاسل قد خمَّن نوايا الآنسة هانتر؛ لذا اقتاد ضحيته ورحل».

- «لكن كيف؟».

- «عبر الكوة، سنفهم الآن كيف تمكن من هذا».

قفز هولمز متشبثًا بالكوة، وألقى نظرة على سطح المنزل وصاح: «نعم، أرى طرف سلم، لا بد أنه تسلق وهبط منه إلى داخل الغرفة».

قالت الآنسة هانتر: «لكـــن هـــذا مستحيل، لم يكن هذا السلم هنا عندما رحل السيد والسيدة روكاسل».

قال هولمز وهو يقفز إلى الأرض: «ربما عاد وقام بفعلته؛ إنه رجل ذكي وخطير، ولن أتفاجأ إذا وجدته يصعد الدرج إلى هنا الآن. واطســـون، سيكون من الأفضل لو جهزت مسدسك».

لم تكد الكلمات تغادر شفتيه حتى ظهر رجل عند عتبة الباب، كان رجلًا بدينًا للغاية قوي البنية، يحمل عصا ثقيلة في يده.

صرخت الآنسة هانتر، وانكمشت بجوار الحائط، أما هولمز فاندفع نحوه صائحًا: «أيها الشرير! أين ابنتك؟».

أدار الرجل عينيه في الغرفة، ثم نظر إلى أعلى باتجاه الكوة المفتوحة وصرخ: «أنا الذي ينبغي أن يطرح هذا السؤال! أيها اللصوص! أيها الجواسيس اللصوص! لقد أوقعت بكم، سأنال منكم»، ثم استدار وهبط الدرج بأقصى سرعة.

صاحت الآنسة هانتر: «لقد ذهب ليحضر الكلب!».

قلت لها: «أنا أحمل سلاحي».

صاح هولمز: «من الأفضل أن تغلق الباب الأمامي»، ثم هرعنا نهبط جميعًا الدرج، ولم نلبث أن وصلنا إلى الردهة حتى سمعنا نباح كلب وصرخة مدوية، ثم رأينا رجلًا أحمر الوجه يخرج من باب جانبي ترتعد أوصاله».

صاح الرجل: «يا إلهي! هناك من أطلق سراح الكلب، إنه لم يتناول طعامه منذ يومين، أسرعوا! قبل فوات الأوان!».

هرعنا أنا وهولمز إلى خارج المنزل، وركضنا حوله، وتولر يسرع خلفنا.

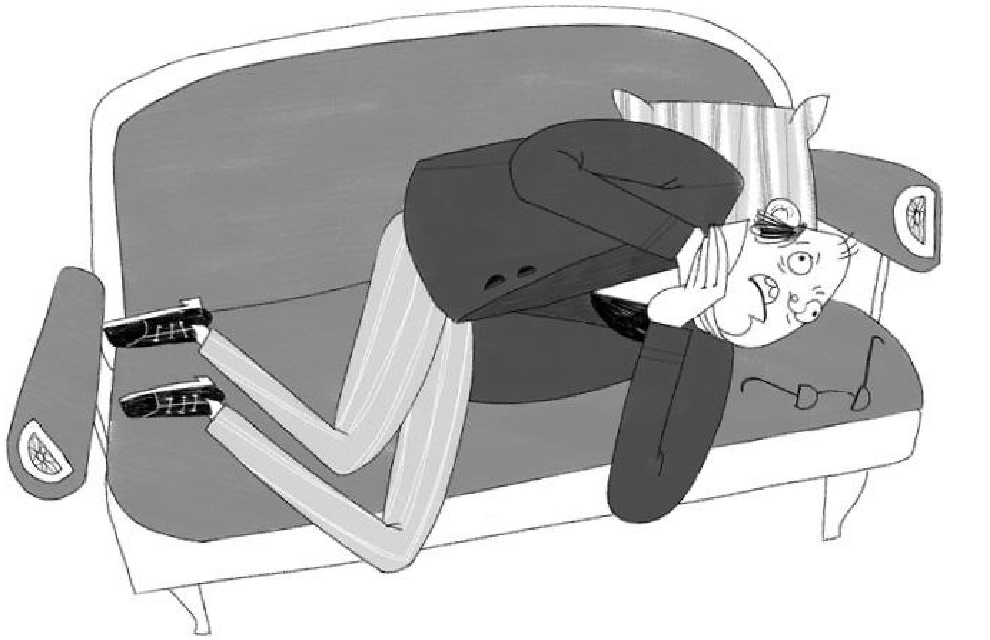


الفصل الثامن

كانت أسنان الكلب الضخم مغروسة في عنق السيد روكاسل، وكان يمنعه من الحركة. ركضت نحوه، وأطلقت النار من مسدسي فسقط الكلب أرضًا. حملنا السيد روكاسل بصعوبة إلى المنزل، ووضعناه على الأريكة في غرفة الجلوس. فعلت كل ما بوسعي لتخفيف شعوره بالألم، أما تولر فلقد أرسلناه ليخرج زوجته من القبو، وفي غضون دقائق معدودة دخلت إلى الغرفة امرأة نحيلة طويلة القامة.

صاحــت الآنســة هانتــر: «السيدة تولر!».

- «نعم، أنا هي يا آنسة، لقد أخرجني السيد روكاسل من القبو عندما عاد. من المؤسف أنك لم تدعيني أعرف ما كنت تخططين له، حينها كنت سأخبرك أنك تضيعين وقتك».



قال السيد هولمز وهو ينظر إليها بتمعن: «هه! يبدو أن السيدة تولر تعلم عن هذا اللغز أكثر من أي شخص آخر».

- «نعم يا سيدي، وأنا مستعدة لإخبارك بما أعرفه».

- «إذن رجاءً، اجلسي وقصي علينا الأمر، لأن هناك عدة نقاط احترت في تفسيرها».

قالت السيدة تولر: «سأفسر لك كل شيء، كنت سأفعل هذا من قبل لو كنت أخرجتني من القبو».

بدأت السيدة تولر تفسر لنا الأمر: «لم تكن الآنسة أليس سعيدة بوجودها في المنزل منذ تزوج والدها مرة أخـــرى، لكـــن الأمـــر لـــم يكن بهذا السوء حتى قابلَت السيد فاولر في منزل صديقة لها. على حد علمي، تركت والدة الآنسة أليس لها إرثًا، وكانت أليس على علم بهذا الإرث، لكنها لم تطلبه من والدها قط. لقد تركت كل الأمور في يد والدها السيد روكاسل، وكان هو يعلم أنه سيظل بأمان حتى تتزوج. وبالطبع لم تكن أليس ستطلب النقود منه، لكنه كان متأكدًا أن مَن ستتزوجه سيفعل هذا؛ لذا فكر والدها في أنه من الأفضل أن ينهي تلك العلاقة التي نشأت بين الآنسة أليس والسيد فاولر.

طلب السيد روكاسل منها أن توقع على إقرار أنه في حال زواجها أو عدم زواجها، يكون للسيد روكاسل الحق في الاستفادة من المال. وعندما رفضت الآنسة أليس هذا، ظل يضغط عليها حتى أصابها المرض. ظلت تصارع الموت لستة أسابيع، ثم تحسنت حالتها، لكنها كانت منهكة للغاية، وقصت شعرها الطويل الجميل. لكن هذا لم يؤثر مطلقًا على حب السيد فاولر لها، فلقد ظل متمسكًا بها كأي رجل حقيقي».

قال هولمـز: «لـــذا حبســـها السيد روكاسل في تلك الغرفة».

- «نعم، يا سيدي».

- «ثم أحضر الآنسة هانتر من لندن ليخدع السيد فاولـــر حتـــى يتركهم وشأنهم».

- «هذا صحيح، يا سيدي».

- «لكن السيد فاولر علم الحقيقة، ورغب في تحرير الآنسة روكاسل من أسرها، لعله دفع لكِ مالًا لتقفي بصفه وتساعديه».

قالت السيدة تولر بهدوء: «السيد فاولر رجل نبيل حنون للغاية، وسخي».

- «بالطبع ظل يمد زوجك بالشراب حتى لا يفيق مقابل أن يوفر له سلمًا يستخدمه فور مغادرة السيد روكاسل للمنزل».

- «أنت محق يا سيدي، هذا هو ما حدث بالضبط».

قال هولمز: «إذن، نحن ندين لك بالاعتذار يا سيدة تولر، لقد تأكدتُ من أنكِ كنت تحاولين مساعدة الآنسة أليس، وبكل تأكيد ساعدتنا في كشف غموض هذا اللغز أيضًا. ها قد أتى طبيب المقاطعة والسيدة روكاسل؛ لذا أظن أن عملنا انتهى هنا يا واطســـون. أعتقد أنه من الأفضل أن نصحب الآنسة هانتر معنا إلى لندن».

الفصل التاسع

بينما كنا نجلس أنا وهولمز نتطلع من النافذة بعد أن تناولنا وجبة الإفطار صباح اليوم التالي، سألته عن الآنسة هانتر: «هل تظن أنك سترى الآنسة هانتر مرة أخرى يا عزيزي هولمز؟».

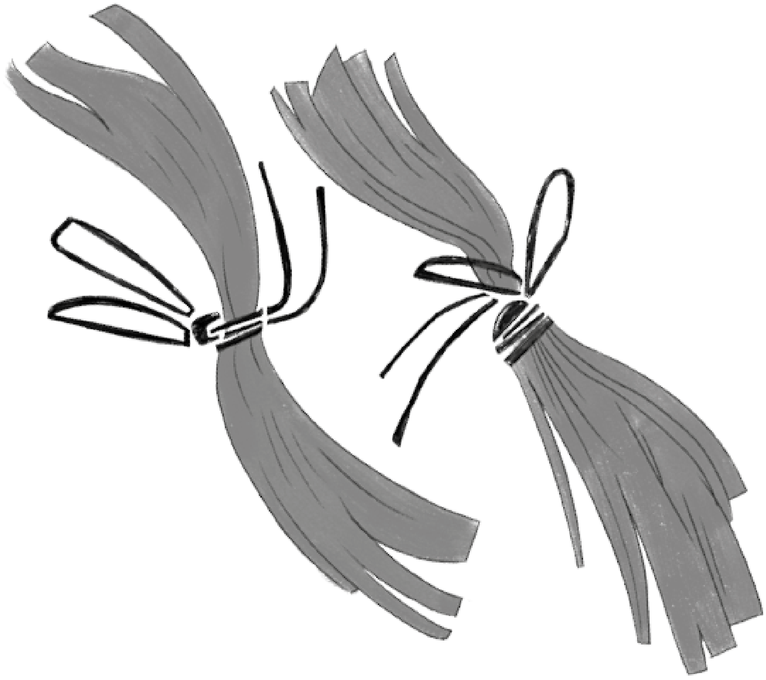
رد هولمز: «لا أظن هذا، سيكون حماقة منها إذا أوقعت نفسها في مشكلة أخرى».

عقبتُ قائلًا: «حسنًا، لكن ربما تزورها أنت بداعي الصداقة».



قهقه هولمز: «يا إلهي، يا واطســـون، دائمًا تميل إلى الرومانسية. الرجال صعاب المراس أمثالي لا يكونون أزواجًا جيدين. انظر إلى حال السيدة روكاسل، ستظل مرتبطة إلى الأبد بهذا الزوج البشع، أو إلى السيدة تولر وزوجها السكير، فالزوجان الوحيدان اللذان استفادا مــن هــذه المغــامـرة الغــريبة هـما السيد فاولر والآنسة أليس روكاسل. حتى في حالتهما فنحن لسنا متأكدين هل سيظلان

سعيدين في زيجتهما أم لا. لا، يا واطســـون، هذه الأمور السخيفة مثل العلاقات الاجتماعية ستشغلني عن عملي فقط».



شيرلوك هولمز

قام المحقق الخاص المشهور عالميًا شيرلوك هولمز بحل مئات الألغاز، وهو مؤلف أوراق بحثية رائعة مثل Early English Charters وThe Influence of a Trade Upon the Form of a Hand. ويربي النحل في أوقات فراغه.

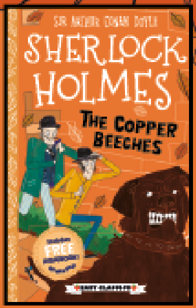
دكتور جون واطســـون

جُرح دكتور جون واطســـون في أثناء مشاركته في معركة مايواند، وترك الجيش وانتقل إلى منزل 221ب بشارع بيكر. وهناك تفاجأ عندما علم أن صديقه الجديد، شيرلوك هولمز، يواجه خطرًا يوميًا في أثناء حل الجرائم، وبدأ في توثيق تحقيقاته. يدير دكتور واطســـون عيادة طبيب أيضًا.

لتحميل أنشطة شيرلوك هولمز، يرجى زيارة الموقع الالكتروني

www.sweetcherrypublishing.com/resources

الغلاف الخلفي



سيد هولمز-رجاءً الحضور إلى فندق بلاك سوان في وينشستر في منتصف النهار غدًا. أرجوك تعال. أنا في حيرة من أمري!

بعد أن لجأت فيوليت هانتر المذعورة إلى هولمز وواطسون طلبًا للنصيحة، يجد الثنائي المكافح للجريمة أنفسهما في مواجهة لغز خطير. فما تخفيه جدران كوبر بيتشيز أكثر من مجرد أسرار عادية...

لشراء النسخة الإلكترونية
القارئ جرير JARIR READER

مكتبة جرير JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore ...أكثر من مجرد مكتبة

Arabic edition published by Jarir Bookstore

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت
www.jarir.com

Retoid by: Stephanie Baudet
Licensor: Sweet Cherry Publishing United Kingdom [2022]

ISBN 628-1072-14-366-4
6 281072 143664
282208938